المشهد السوري محاولة للفهم (1)

المشهد السوري محاولة للفهم

(1)

تبدأ الثورات الشعبية عادة من نقطة (اصلاح وضع اجتماعي، حقوق مدنية، تهميش) ونتيجة لردود فعل السلطة القائمة تتوسع في مطالبها حتى تصل إلى استبدال الحكم تحت مظلة العقل الجمعي الجماهيري إذ غالبا ما يكون الإلمام بجوانب الواقع ناقصا فتندفع لا ترى الا ما تريد لا ما سيراد بها بعد مراحل من تقدمها في خضم الثورة تاركة الأقدار تفعل ما تشاء. يتوقف جزء كبير في فهم ديناميكية التغيير الذي يحدث داخل المجتمعات(الدول) على معرفة تحليلية لمكونين أساسيين تتأثر البنية الداخلية بهما وهما:

– تصور طبيعة المجتمع ومعرفة الجوار الإقليمي والدولي.

يحظى المجتمع السوري بتنوع ديمغرافي يتوزع بين غالبية مسلمة سنية وطوائف أخرى بين علوية ودروز ونصارى وأكراد؛ طالبت الغالبية السنية بالتغيير داخل هذا المجتمع ذي الطوائف المختلفة التي تغلب

عليها ثقافة العشائرية والقومية فيما بينها ان صح التعبير... اذ ستتميز فيما بينها بتباين أهدافها السياسية مما سيؤدي إلى تخالف في الرؤى بينهم، هذا المناخ الطوائفي المتباين الذي تنعدم فيه فكرة المواطنة لا يمكن إلا أن تكون له انعكاساته بعد ذلك في التطورات التي تطال مراحل الثورة.

افتقد الحراك لعنصر القيادة الموحدة لضمان سير الامور بشكل يحفظ الاهداف ولعدم انزلاق الأمور نحو الفوضى المتوقعة؛ فانقسمت الثورة ذات الغالبية السنية على نفسها فيما يتعلق بالتوجهات وكانوا كما قال القران"كل حزب لما لديهم فرحون" إلى ما يشبه لوحة فسيفسائية؛ بقي العنصر الذي جمع بين أغلب هذه الأطياف هو مجابهة النظام على كافة الأصعدة إعلاميا وعسكريا وسياسيا. حين بدأ الطابع العسكري يشكل قاعدة الثورة تكونت الجماعات والكتائب تعلن استعدادها لخوض القتال للحفاظ على أهداف الثورة وإسقاط الحكم السائد. بطبيعة الحال كانت الصبغة الإسلامية هي اللون البارز في بنيان تلك المجموعات فصرنا في مرحلة كانت الدماء والمجابهات المسلحة هي عنوانها الرئيسي...

برزت المجموعات المسلحة بشكل بارز على السطح ولاقت تأييدا شعبيا على أدائها في مقاتلة الجيش فحصلت على هامش لها ولأتباع الثورة بعيدا عن سيطرة الأخير، فيما بات يعرف بالمناطق المحررة التي تنازعت بعد ذلك في كيفية ادارتها بسبب الاختلافات المنهجية والبعد الأيديولوجي والاملاءات الخارجية لدى كبرى الفصائل، زاد هذا في توثر العلاقات والتنسيق وفقد الثقة مما أربك الوضع الداخلي وعمل على هشاشته بعد ذلك. ناهيك عن الاقتتالات والاغتيالات التي طالت كل تلك المجموعات فيما بينها كل هذا قبل التدخل العسكري الروسي الذي حسم المعركة لصالح النظام السوري.

يمكن القول أن هناك عناصر أساسية تداخلت وأفرزت طبيعة الوضع الراهن سيكون المقال القادم بداية التطرق إليها والحديث عنها.

تشكل مساحة الصراع في تاريخ البشر حيزا كبيرا ومجالا يستجلب الدارسين لفهم أسبابه ونتائجه للاستفادة منه في الواقع المعاصر. سبق وذكرنا في ما سبق أن المناطق التي تقع ضمن موجة تغيير(ثورات) تستدعي منا معرفة تحليلية للسياق الأجتماعي وقد تمت الإشارة في مقالنا السابق إلى بعض خطوطه والى ادراك السياق الخارجي.

لا يمكن أن تبقي الثورة التي اندلعت في سوريا الوضع الداخلي السياسي والعسكري كما كان في السابق، حيث تصبح البلد مهيئة للتأثير الخارجي سواء من جهة أصدقاء الثورة كما قيل أو من أصحاب المطامع و البحث عن النفوذ داخل أماكن الأزمات.

تكمن خطورة الخارج في أنه يملك لنفسه مصالح تتعلق به يجعلها ضمن أولوياته التي يسعى لتحقيقها، مستفيدا من طبيعة ما تمر به البلد أو تواطئ بعض الأطراف(ف الداخل) ضمن لعبة المكاسب حتى ينال_العنصر الخارجي_ ما يصبو إليه.

من خلال تعايش ومتابعة للقصة السورية أزعم أن التأثير الخارجي اكبر بكثير من التأثير الداخلي في

المآلات الراهنة؛ هذا التأثير الذي وصل لدفة التوجيه والقرار مبتعدا بذلك عن طموحات الشعب الذي أصبحت تضحياته ماء يسقي أشجار غيره، فدخلت الثورة في التيه وبات الكثير تراودهم مشاعر الندم والخيبة لما أدركوا ان الخيوط صارت بأيدي غيرهم، وأن جهودهم تفتقر للبعد الاستراتيجي في الصراع.

يستدعي أحيانا ملاحظة التأثير الخارجي صعوبة واحيانا أخرى تراه واضحا ماثلا للعيان؛ فبحسب المعطيات العسكرية والفكرية والسياسية التي طغت على الساحة ومثلت مسارا ثابتا في توجهات الثورة يستوقفنا البحث حولها كونها عناصر أساسية أسفرت بعد ذلك إلى الوضع الراهن:

خضع المعطى السياسي(الاتلاف الوطني) لجملة من المؤثرات ساهمت في ضبابيته وضعفه؛ حيث لم ينبثق من داخل المجموعات العسكرية أساسا ولم يعبر عنها، _والتي بدورها ارتكبت خطأ استراتيجيا كونها لم تدرك أهمية الجانب السياسي في مسارها، ولم تبرز شخصيات كفوؤة من داخلها تتحدث نيابة عنها وتعرض مطالبها في توازي مع العمل العسكري الموحد_ بل سعى(الائتلاف الوطني) إلى كسب الشرعية من الخارج (أصدقاء الثورة) والسير وفق برامجها تحت تأثير الدعم المالي المشروط طبعا، ناهيك عن البذخ الذي كانت عليه بعض تلك الوجوه السياسية في حين يعاني الشعب من أبسط متطلبات الحياة كل ذلك تحت جحيم الحرب التي لم يكتووا بنارها ولا عاشوا واقعها وكنتيجة منطقية فقدت الثقة بين القاعدة الفاعلة والعريضة للثورة (الفصائل الكبيرة وعامة الشعب) فنتج فراغ مهم في جسم الثورة بغياب عنصر السياسة لأجل الدفع بعجلة القضية وإيجاد مخارج الأزمات المتوقعة باستخدام ميزة التفوق على الأرض؛ بل للأسف صار عامل استقطاب في الداخل معتمدا على الإغراءات المالية لبعض الشخصيات حتى تعمل على تشكيل بعض المجموعات العسكرية من خلالها تثبت تواجدها ونفوذها حتى يستمر الضخ المالي(الخليج) عليها وتمرر الأجندات على حسابها. فتكون بذلك قد خسرت القضية وجها مهما وهو (السياسة الفاعلة)..وكما قيل :"السياسة هي الوجه الثاني للحرب".

بقلم: أديب أنور

المصدر :

مافا السياسي (ادب المطاريد)

www.mafa.world

مافا السياسي
www.mafa.world